وتكرّر التوكيد، فحين أصبح محمد، ونشط إلى الطواف بالكعبة ـ كدأبه في كلّ يوم ـ التقى بالناسك العليم. وأقبل ورقة عليه بخطىً وئيدة[362]، كأنّما يمشي على استحياء، ثم دنا منه، يتأمّله، ثم هامسه بصوت خفيض: يا ابن أخي، أخبرني بما رأيت وسمعت، فأنبأه بما جرى في الغار. قال له الراهب، ورَمْق بصره يهيم في الفضاء: إنّك لنبيّ هذه الأُمة ... ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، ولتكذبنّ ولتؤذينّ ولتقاتلنّ ... ولتخرجنّ. فسأله محمد: أوَ مخرجيّ هم؟ قال الراهب الشيخ: نعم، فما أتى رجل بما جئت به إلاّ عودي ... ولئن أدركت ذلك اليوم لأنصرنّ ا نصراً يعلمه. وصدق، فما عتم داعي السماء أن عاد إلى محمد مرةً أُخرى، من وراء كلّ المحسّات ينقل إليه عن ا: (يَا أَيّهَا الْمُدّثّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبّكَ فَكَبّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهّرْ * وَالرّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبّكَ فَاصْبِرْ)[363]. إنّها إذاً لرسالة، وكبّر، وتيمّن واستبشر، وسكن وأمن، واطمأنّ وقرّ، ثم صدع بما يؤمر.

* * * وعلى الفور، تفتّحت براعم الإيمان، بداره ظهرت بشائر الدين الجديد. كلّ من كانوا به يعايشونه صدّقوه، ما إن دعاهم حتّى لبّوا الدعاء، أسلموا وجوههم . وكانت خديجة رائدتهم على طريق النور، ثم الابنة الحبيبة الزهراء، فعليّ َ ربيبه، وصاحب سرّه ونجواه، فزيد مولاه.